# الطَّوارق ... الأصل والمْوطن

■ محمد الشيخ الانصاري

إنَّ من أبرزِ المميزاتِ التى امتازتْ بها الخلافةُ الاسلاميَّةُ أنها لم تعترفْ بحدودٍ تفصلُ بين شعُوبها على امتدادِ أراضِيها عمومًا وفى المنطقةِ المغاربيةِ خصوصًا إذ كانت هذه المنطقةُ على مدى التاريخ محركاً أساسياً لِسكانِهَا وجيرانِهم من سكانِ جنُوبِ الصحراء الكبرى مما جعلَ الفصلَ بين شُعوبِ هذه المنطقةِ ضرباً من ضروبِ المستحيلِ. وما هذا البحثُ الا محاولةً لإنصاف شعبٍ يعتبرُ من أكبرِ الاثنياتِ التى تركت بصماتٍ واضحةً فى المنطقةِ وهو "الطوارق"، ومُسَاهمتهِم فى الكفاحَ ضدَ الاحتلالِ الغربيِّ البغيضِ وأعوانِه من دُعاةِ التجزئةِ والانفصالِ، هذا إلى جانبِ دَورِهمْ الريادىِّ فى الدفاعِ عن الحضارةِ العربيةِ الإسلاميَّةِ فى منطقةِ الساحلِ والصحراءِ. ويشملُ هذا البحث:

ـ **الأصول التَّاريخيَّة للطَّوارق**:

يرجعُ الطوارقُ في أصُولهمْ إلى فرعٍ من فروعِ صنهاجةَ الجْنوبِ (المْلثمينَ)، وتتكونُ من تجمعاتِ قبائلَ: لمتونة، وجدالة، ومسّوُفة، ولمطة، وجزولة، وبنو وارث. وهم سكان الصحراءَ الْكبرى الْقدماءُ، أمَّا البعض فَيُرجِعُهم إلى قبائلِ الجْيتول الليبية الْقديمةِ.

وأغلبُ الظنِ أنهم ينحدُرون من صنهاجةَ. وهُم من الهجراتِ الْعربيَّةِ الأخيرةِ إلى شمال أفريقيا، قبل الْفتح الْعربيِّ الإسلاميِّ بحوالي ستةِ قرونٍ، وهم الذين جلبُوا الجْملَ إلى شمال أفريقيا من الجْزيرةِ الْعربيةِ.

ويكادُ الإجماع ينعقدُ في نسبةِ الطوارقِ إلى البربرِ على وجهِ العموم، وإلى قبيلةِ صنهاجةَ وفُرُوعِها لمتونة وجدالة ومسوفة، على وجهِ الخْصوصِ. أما الطوارقُ أنفُسُهم فلا يُخالِطهُم ريبٌ في نسبتِهم إلى صنهاجةَ.

وصنهاجةَ يرفعون أنسَابَهُم إلى حمير ... ولهم ظَوَاعِنُ في الصحراءِ رحالةٌ ... ومرَاحِلُهُم في الصحراءِ مسيرةُ شهرينِ ما بين بلادِ السودانِ، وبلادِ الإسلامِ وهُم على دينِ الإسلامِ أتباعٌ للسنةِ، وليس بينهم وبين الْبربرِ نسبٌ إلا الرحم، وأنهم خرجوا من الْيمنِ وارتحلُّوا إلى الصحراءِ وملكوا ... بلادَ التكرورِ بالقوة ....

وفي مخطوطِ (فوائدُ من غابرِ الأخبارِ في أصولِ الأنسابِ) فإنَّ الطوارقَ يرجعُون في أصُولهم إلى صنهاجةَ وهم السُّكانُ الأصليُون لشمالِ أفريقيا، وليس أدلُّ على هذه الْحقيقةِ من أن الطوارقَ مازالوا إلى الآنِ يكتبون التيفيناغ.

وقد أشارَ إليهم ابن خلدون بقوله: (من صنهاجةَ الْملثمون الْموَطَّنُون بالْقفارِ والرمالِ الصحراويةِ في المجالاتِ هناكَ والتَّنايفِ والمجاهلِ منذُ دهورٍ قبل الإسلامِ لا يُعرفُ أوَّلُها، فأسْحُروا على الأريافِ ووجدُوا بها المرادَ وهَجَرُوا التلولَ وجَفوْهَا واعتاضُوا منها بألبانِ الأنعامِ ولحُومِهَا، انتباذاً عن العمرانِ واستئناساً بالانفرادِ وتوحشاً بالعزِّ عن الغلبةِ والقهرِ. فنزلوا من ريفِ الحبشةِ جوارًا وسكنوا ما بين بلادِ البربرِ وبلاد السودانِ حجزاً واتخذُوا اللثامَ خِطاماً تَمَيُّزاً بشعارهِ بين الأممِ... ومحلُّهم ما بين البحرِ الْمحيطِ الغربيِّ إلى بلدِ غدامس ... ولم يزالوا مستقرينَ بتلك المجالاتِ الواسعةِ حتى كانَ إسلامُهم بعد فتحِ الأندلسْ. وكانتِ الرئاسةُ فيهم للمتونةَ) .

وهناك روايتانِ عن أُصولِ الطوارقِ، الأولى تنسِبُهم إلى الْبربرِ. والثانيةُ تنسِبهُم إلى قبائلِ حمير. والروايتانِ تؤديانِ إلى نفسِ الْنتيجةِ.

إذا أخذَنا بالأراءِ القائلةِ بإنَّ الْبربرَ ما هُم إلاَّ أولئك العربُ الرُّحل، الذينَ قسَّمهُم النوبيُّون إلى قسمينِ:

أ – الْكُوشيُّون وهم رعاةُ الصحراءِ الشرقيةِ من النيلِ إلى البحرِ الأحمرِ.

ب – الأمازيقُ، وهم رعاةُ الصحراءِ الغربيةِ من النيل إلى المحيط الأطلسيِّ.

وليس أدلُّ على عروبةِ الْبربرِ من اندماجهِم مع العربِ الفاتحينَ وتشكيلِ أُمَّةٍ واحدَةٍ، استجابت لتطوراتِ الْحياةِ . حسب ما أقرَّهُ بعض المؤرخين العرب كالإدريسي والبكري. خِلافاً للرأيِّ المتأثرِ بالْمدرسةِ التاريخيةِ الإستعماريةِ التي سعتْ إلى بثِّ الفُرقةِ وزرْعِ رُوحِ الانقسامِ في الأمةِ العربيةِ الإسلاميَّةِ.

ثانياً: إن الكُتَّابَ الأفارقةَ، يؤكدون على أن الطوارقَ عربٌ، وأنهم كسبوا هذه اللغةَ أثناءَ

هِجرَتهِمْ من اليمنِ والمرورِ بشمال أفريقيا، والاختلاطِ مع الأمم القاطنةِ هناكَ أصالةً أو استيطاناً واستعماراً، وهذا الرأيُّ يذهبُ إليه الكثيرُ من المؤرخينَ الْعرب، والذين يُعيدونَ أصولَ الطوارقَ إلى العربِ اليمنيةِ. وبهذا تلتقي الأقوالُ لتؤكدَ عُروبَتَهُم.

ومما يؤكدُ ذلكَ أن أغلبَ الطوارقِ متمسكُون بعروبتِهم، ويعرفُون أُصُولَهُم، ويُحافِظون عليها عن طريقِ حفظِ سلاسِل أنسابِهِم، وقلما تجدُ طارقياً، وخاصةً من ذَوِي العلمِ، من لا يتمسكُ بعرُوبَتهِ وانتمائهِ إليها.

وقد كتب بعضُ الْمؤرخينَ والرحالةُ الْعربُ الْمسلمون عن الطوارقِ وأصلِهم، واتَّفقُوا نسبياً على أن من يُعرفون بالطوارقِ ما هم إلاَّ أولئك الْمهاجرينَ الذين قَدِموا إلى شمال أفريقيا من الْجزيرة الْعربيةِ في الْقرن الأول قبلَ الْميلادِ، وهم الذين جلبُوا الْجملَ إلى إفريقيا. وليس بوسعِ الْمنصفِ إلاَّ أن يأخذَ برأي هؤلاءِ الْمؤرخين والرحالة باعتبارِ رأيهِمْ كان قبلَ ظهورِ الأفكارِ الْقوميةِ (الْقرن الثالث عشر - القرن السابع عشر الْملاديين).

ورغم محاولةِ البعثاتِ الاستكشافيةِ الْغربيةِ الحثيثة خلالَ الْقرنيين الثامنِ عشر والتاسعِ عشر الميلاديين - تمهيداً للغزو الاستعماريِّ - إيجادَ نسبٍ للطوارقِ يُخالف ما اتفقَ عليه الْمؤرخُونَ والرحالةُ الْمسلمون الذين سبقُوهم إلى استكشافِ إفريقيا ونشرِ الإسلامِ فيها بقرونٍ بهدف تمزيق الْوحدةِ الْعرقيةِ لسكانِ شمال أفريقيا والصحراءِ الْكبرى. فإن كل تلك المحاولات باءت بالفشل وذلك لتمسك الطوارق بالكثير من صفاتهم وخصوصيتهم التى تظهر جلية فى انعزالهُم في الصحراءِ الْكبرى الشاسعةِ، ما جعلَهُم يحتفظُونَ بكثيرٍ من مُقوّماتِ حياتِهِمْ في شبهِ الْجزيرة الْعربيةِ التي وَفَدُوا منها قبلَ حوالي ألفيْ سَنة.

2 - بُغضُهم للكافرِ النصرانيِّ زادَ من انعزالِهِمْ، حتى عن إخوتِهِمْ الذين استُعْمِرُوا وتعاملُوا مع المُسْتعْمِر، اضطراراً.

3 - عِشقُهُم لحياةِ الْبدَاوَةِ الْمُتَحَررةِ من أثقالِ الْمدنيةِ الْغربيةِ، زاد في انعزَالِهِمْ، حتى صاروا يحيون كالغُزلانِ الشاردةِ.

4 - موجةُ الجفافِ القاسي التي ضربت منطقةَ الساحلِ الإفريقيِّ في عام 1973م التي اتَّخذَتْهَا الْكنائسُ الْغربيةِ والْمنظماتِ التنصيريةِ ذَريعةً للاقترابِ منهم واستمالةِ بعضَهُم بحسنِ الْمعاملةِ ومنحِ الْمساعداتِ، وبثِ سُمُومِهَا الزاعمةِ بأنَّ الطوارقَ يَنتسِبُون إلى جنسٍ غيرِ جنسِ الْمجمُوعِ الْقاطنينَ بشمالِ أفريقيا، رغمَ أنَّ محُاولاتِ الْكنائسِ بَاءتْ بالْفشلِ الذريع، فإنها نجحتْ في إقناعِ الْبعضِ بأنهم يختلفُون عِرْقياً

مع النسيجِ السكانيِّ لشمالِ أفريقيا، وهؤلاء هم مَنْ يَنْخرِطُون في ما يسمى (بالأكاديميةِ الْبربريةِ بأوروبا)، ولهم أتباعٌ ومريدون على طُولِ ساحةِ الصحراءِ الْكبرى.

هذا وأغلبُ آراءِ الْمؤرخينَ الْجادينَ في أبْحَاثِهم يُنسِبُونَهُمْ إلى الْقبائلِ الْيمنيةِ، ويُشبِّهُونَ سَحْنَاتِهِمْ بِسَحْنِاتِ عَرَبِ الْجزيرةِ الْعربيةِ.

والْكثيرُ من الْقبائلِ الطارقيةِ، تتمسَّكُ بِعُروبَتِها. وتَعرِفُ مَوْطِنَهَا الأصليَّ الذي هاجرتْ منهُ، وتَحْتفظُ بسلاسلِ أنسَابِهَا الْعربيةِ، إما كتابةً أو شفاهةً. وهنا أؤكدُ على أهميةِ احْتِرَامهِم للتراثِ الشفهيِّ، فهْو عندَهمُ بمثابةِ الْحديثِ الْمتواترِ، الذي لا يمكنُ أن يتَواطأَ قائلُوه على الْكذبِ. وهذا التراثُ الشفهيُّ يُعتبرُ غنياً وصادقاً أكثرَ من تخميناتِ وظُنُونِ الْغربييِّنَ، التي تُعْرضُ علينا على أنَّها مُسلَّماتِ بحثيةٍ، التزمتْ بالْمنهجِ الْعلميِّ.

وقد سجَّلَ شعراءُ الطوارقِ افتخارَهُم بأصالتِهم الْعربيةِ، وانتمَائِهم إلى أشهرِ القبائلِ العربيةِ.

وفي هذا يقولُ الْعلَّامةُ الْقاضي محمد مختار بن حَوَّدْ الأنصَاري :

وَنَحْنُ لألِ لَمْتُونٍ نُسِبْنَا إلَـ * ـى عَدْنَانَ عَدَّ النَّسَابُونَا
وَمنّا ءَالُ قَيْلَةَ ءَالُ صِدْقٍ * وَيَعْرُبَ جَدُّنَا في السَّالِفِينَا

**ـ ثالثاً**: الْعاداتُ والتقاليدُ الْمشتركةُ، بل والْموحدةُ بين الْقبائلِ الطارقية وإخوانهم من الْقبائلِ الْعربية، فلا أعلمُ خُلقا عندَ الْعربِ يُعدُّ مَكْرُمةً أو مَثلبةً إلا عند الطوارقِ مِثْلُها، ولا داعي لسردِ الْمكارمِ والْمثالبِ فهي معروفةٌ، ومن خالطَ الشعبَ الطارقيَّ يدركُ هذه الْقيمةِ ويعرفُ إلى أيّةِ درجةٍ يُقدرون الْقيمَ والْعاداتِ وخاصةً الْمروءَةَ، فهي أساسُ الْمحامدِ لديهم والْحاملُ للفردِ للتّرفُعِ عن سَفَاسِفِ الأمورِ.

**ـ رابعاً**: إنَّ أغلبَ الطوارق يتمسَّكُون بالْهويةِ الْعربيةِ الإسلاميةِ، ويُدافِعُون عن الْقضايا الْعربيةِ الإسلاميةِ، ويُحسون بأنهم جزءٌ من الأمةِ الْعربية الإسلاميةِ، ومصيرُهم مرتبطٌ بمصيرِ الأمةِ الْعربيةِ الإسلاميةِ. وأن اللغاتِ أو اللهجاتِ الطارقيَّة جميُعِها تتوفرُ فيها الأدلةُ على أنَّها لغات عربية قديمة، تعرضت لِتَغَيُّرَاتٍ لكن تلك التغيُّرات لم تَطْمِسْ بعضَ الْمعالمِ التي تشيرُ إلى الأصولِ الْعربيةِ لهذه اللهجاتِ، ويبدو ذلك واضحاً في جميع مستوياتِ اللغةِ سواءً في الْمجالِ الصوتيِّ أو الْمفرداتِ، أو النحويِّ أو الدلاليِّ. وهذا التشابهُ والتماثلُ بين لهجاتِ الطوارقِ والْعربيةِ يَمُسُ الْمفرداتِ، ويدخلُ في نظامِ الأفعالِ، والتصريفِ، وملامح

الْجذورِ الثلاثيةِ للكلماتِ، على الرغم من أنَّ في الْبربريةِ والطارقيةِ الْكثيرُ من الْجذورِ الثنائيةِ، وقد فُسِّر ذلك (عِندَ الْمتخصصينَ بأنه يعودُ إلى الجانبِ الصوتيِّ، الْقويِّ في البربريةِ بشكلٍ خاصٍ) .

ـ **خامساً**: التشابهُ الواضحُ بين الشعرِ الْعربيِّ والشعرِ الطارقيِّ، خاصةً في الْجانبِ الْموسيقيِّ، فَهْو ميدانٌ صالحٌ لتحقيقِ التمازجِ بين الطارقيةِ والْعربيةِ الأمِ، بحيث يمْزُجُ الشاعرُ بين اللغتين، ويكونُ المفهومُ واضحاً للطارقيِّ، الذي يستلذُّ هذا الْمزجِ، الذي يُعِيدُه إلى أُصولهِ، وهذا لا يمكنُ أن يكونَ، إلا بينَ لُغتينِ أصلُهما واحدٌ.

هذا وقد حَظِي الطوارقُ – كأحدى قبائلِ الصحراءِ الْكبرى – باهتمامٍ كبيرٍ عندَ الرحالةِ الأوربيينَ. وخاصةً الْفرنسيينَ الذين كانت لهُم أطماعٌ متزايدةٌ في الصحراءِ الْكبرى منذُ وقتٍ مبكرٍ، لمعرفةِ وجَمْعِ ما يتصلُ بالطوارقِ من أخبارٍ، وما يتعلقُ بأوضاعِهِمْ وتقاليدِهم من معلوماتٍ قد تساعدُ الْفرنسيينَ على تنفيذِ مُخططَاتِهم في الصحراءِ الكبرى بمسَاعَدتهِمْ، أو على الأقلِ، دون التَّعرُّضِ لعدَاوَتِهم. نظراً إلى الأهميةِ التي يُشكلها الطوارقُ في تاريخِ الصحراءِ الْكبرى، وعلاقَاتهِمْ بالقبائلِ الصحراويةِ الأخرى، ومدى تأثيرِهمْ في تأمينِ أو عرقلةِ التواصلِ بين شمالِ وجنوبِ الصحراءِ الْكبرى، وفي انسيابِ التجارةِ الصحراويةِ، وفي دعمِ أو عرقلةِ مشروعِ التوغلِ الفرنسيِّ في الصحراءِ الكبرى. حيث كانت بعثاتٌ فرنسيةٌ عديدةٌ قد تعرضتْ لاعتداءاتِ الطوارقِ ما بين غدامسَ وغاتَ وفي إتجاهِ آيير وتنبكتو، وبلادِ الْهَوْسَا، منها على سبيلِ الْمثال: بعثةُ «فلاتير» في عام 1881م، والبعثةُ التبشيريةُ في عام 1874م. ونتيجةً لذلك فقد بثَّ الرحالونَ الأوروبيون كثيراً من الأفكارِ والمفاهيمِ الخاطئةِ والمشوشةِ حولَ الطوارقِ وخاصةً ما يتعلقُ بأسماءِ تشكيلاتِهم الْقبليةِ، وعاداتِهم وتقاليدهم الاجتماعيةِ، وتاريخِهم وسلُوكِهمْ ومُعاملاتِهم مع غيرِهم من الغُرباءِ وخاصةً الأوروبيينَ. وفي مطلعِ القرنِ العشرين استطاعَ الْفرنسيُون إخضاعَ أغلبَ مناطقِ الطوارقِ لنفُوذِهم بعد معارَكَ عديدةٍ في أكثرِ مِنْ مكانٍ من بلادِ الطوارقِ.

ـ **اشتقاق الاسم ؟**:

وكلمةُ الطوارقِ أو التوارقِ أو التواركِ مفردُها في اللغةِ الْعربيةِ طارقيٌ أو تارقيٌ، قال ابن خلدون: (واسمُ التواركُ أطلقتُه عنهُم الْعربُ لتركِهمُ الحق في الصدرِ الأول). إلاَّ أن الطوارقَ يطْلقون على أنفسِهمْ اسم «كَلْ تمَاشغْتْ» أو«كَلْ تمَاجَغْتْ» أو «كَلْ تمَاهَقَـتْ» أو«كَل تمَازغْتْ». أو«كل تَجَلْمَسْتْ» أو«كَلْ أتـلْ» أيْ أهلُ اللثامِ، حسبَ الاختلافِ اللهجيِّ بين

الطوارقِ. وقيل سُمّـُوا بهذا الاسمِ لأنهم في بدايةِ انتشارِ الدعوةِ الإسلاميةِ تركوا الْحَقَ، أىْ ارتدُوا عَنِ الإسلامِ. ثم عَادُوا إليهِ فيما بعد.

وقد شاعَ مصطلحُ الطوارقِ في الْعصرِ الْحديثِ، عن طريقِ كتاباتِ الْغربيين وكُتَّابِ الْعربِ الذين أعْتَنَوْا بأمرِ الطوارقِ.

وهناك مَنْ يرى بأنَّهم سُمّـُوا التوارِكَ لأنهم كانوا يعيُشون قربَ الْمَناطقِ الساحليةِ، إلاَّ أنهم اضْطرُوا تحتَ ضغطِ الْقبائلِ الأخرى إلى تركِ أوطانِهم والنزوحِ نحو الْمَناطقِ الصحراويةِ الداخليةِ اتقاءً لحياةِ الظلمِ والاستبدادِ تحت كنفِ الْقبائلِ الساحليةِ فسُمُّوا «التوارك».

## ـ أوصافُ الطوارق:

أُطلقت على الطوارقِ صفاتٌ عديدةٌ منها على سبيلِ الْمثال: فرسانُ الصحراءُ، وملوكُ الصحراءُ غير الْمتوجين، والرجالُ الزرق، والرجالُ الْملثمون علماً بأنَّ الْمؤرخَ الْفرنسيُّ (ف. ر. رُودْ ـ f.r.rood) يرى بأن من يُطلقُ عليهم اسمُ التوارقِ لم يكونُوا يَلبسُونَ اللثامَ خلالَ الْعهدينِ الرومانيِّ والْبيزنطيِّ، بل إنهم تَبنوْا هذهِ الْعادةَ بين الْقرنينِ السابعِ والْحادي عشر للْميلاد. إثرَ اندحارِهِمْ أمامَ الْمدِّ الرومانيِّ، والْبيزنطيِّ إلى الأقسامِ الْجنوبيةِ من الصحراءِ الْكبرى حيثُ تكثرُ الْعواصفُ الرمليَّةُ التي ألجأتْ رجَالَهُم عكسَ نِسائِهم إلى ارتداءِ اللثامِ اتقاءً لشرِّ الرمالِ. كما يُعرفُون أيضاً بحراسِ الْقوافلِ حيث لا تستطيعُ أيَّةُ قافلةٍ تجاريةٍ كانت أو غيرِها، ولا حملةٍ علميةٍ من عبُورِ الصحراءِ الْكبرى دون حمايتِهِمْ.

## ـ لهجاتُ الطوارق:

كل الذينَ تكلمُوا عن الطوارقِ، واللغةِ التي يتحدثُون بها، اعتقدوا أنَّ الطوارقَ جميعاً يتكلمون لغةً واحدةً، وهي لغةُ «تماشق»، والحقيقةُ أن هناك عدداً من اللهجاتِ الطارقيةِ، أهمَّها بالطبعِ «تماشق» للاعتباراتِ الآتيةِ:

إن أغلبَ الطوارقِ يتحدثونَ بها، وبحكْمِ انتشارِهَا الواسعِ، أصبحتْ اللغةَ الرسميةَ، والأدبيةَ لعمومِ الطوارقِ، ولا يعني ذلك إندثارَ بَاقِي اللهجاتِ الطارقيةِ الأُخرى.

أما اللهجةُ الثانيةُ من لهجاتِ الطوارقِ فهي لهجةُ «تَـضَـكـْصَـهَـكْ» نسبةً إلى قبيلةِ «إدُوسَهَاكْ»، أو «إدوإسحاق» (أو أولاد إسحاق) . وتنتشرُ هذه اللهجةُ في شمالِ مالي، وشمالِ النيجرِ.

واللهجةُ الثالثةُ من لهجاتِ الطوارقِ هي لهجةُ «تَـجْـدَالـَتْ» أو «تَـقْـدَالـَتْ»،

والْمتحدثينَ بهذه اللهجةِ يمكن أن يتفاهمُوا مع الْمتحدثين بلهجةِ «تضكصهك». وخاصةً إذا طالَ الاحتكاكُ على عكسِ «تماشقْ» التي تُعتبرُ لهجةً مُخَالفةً لهاتينِ اللهجتينِ، وإن كانت مُشْتَرِكَةً مَعَهُمَا في الأصلِ والجذورِ.

أما اللهجةُ الرابعةُ من لهجاتِ الطوارقِ فهي لهجةُ «شِنْ سِرْتْ» أيْ الْمنسوبةُ إلى سرتْ، أو التابعةِ إلى سرت. عندَ قبيلةِ «آيت أواري»بشمالِ النيجر. والتي ربما هي تحريفُ لـكلمةِ «آيت هواري». وغالبُ الظنِ أن هذهِ هي اللهجةُ التي أشارَ إليها الرحالةُ الْعرب كالْبكريِّ عندما ذكرَ أنَّ بمنطقةِ سرت قبيلةٌ بربريةٌ، تتكلمُ بلهجةٍ تختلفُ عن لهجاتِ الْقبائلِ الأخرى.

وهناك لهجةً خامسةً من لهجاتِ الطوارقِ وقريبةً جداً من لهجتي «اضكصهك» و«اجدالـنْ»، تسمى «تِـسَـوَقـتْ» وينحصرُ انتشارَها بمنطقة (إنجال) في شمالِ النيجر.

**الكتابة عند الطوارقُ:**

يَكتبُ الطوارقُ في القديمِ بالْحروفِ الْمُسماةِ بـ«تيفيناغ» جَعلتْ مِنَ الطوارقِ إحدى الشعوبِ الإفريقيةِ النادرةِ التي تمتلكُ أبجديةً نظيفةً يرجعُ وجودُها تقريباً إلى ثلاثةِ آلافِ سنةٍ قبلَ ميلادِ المسيحِ عليهِ السَّلام، كما تشهدُ على ذلك الكتاباتُ والنقوشُ الموجودةُ في الصحراءِ الْكبرى، وشمالِ إفريقيا.

يقول (غوستاف لبون): إنَّ اللغةَ البربريةَ العريقةَ في القدمِ يُحتملُ أن تكونَ مشتقةً من الْفينيقيةِ. ومن الغريبِ أنَّه إذا حلَّلْنَا الأبجديةَ التي يَستعملُها الطوارقُ، اكتشفنَا صحةَ الرأيِّ السائدِ لدي كثيرٍ من الْباحثينَ وهْو أنَّ الأبجديةَ التي يُسمِّيها الطوارقُ «التيفيناغ»، استعارُوها من الأبجديةِ الْفينيقيةِ .

فيما يرجحُ البعضُ بأنَّ لغةَ الطوارقِ ما هي إلا إحدى اللهجاتِ العربيةِ القديمةِ التي تمَّ الاستغناءُ عنها بعدَ نُزولِ القرانِ الْكريمِ بلغةِ قريش. وهي اللهجةُ الْوحيدةُ في اللغاتِ الإفريقيةِ، التي يوجدُ بها حرفُ الضَّادِ سِمَةُ اللغةِ الْعربيةِ. بالإضافةِ إلى وجُودِ مُفْردَاتٍ عَربيةٍ فُصْحَى في لهجَاتِ الطوارقِ، وهي في صَميمِ اللغةِ وليسَ في مُسْتحْدَثاتِهَا.

كما أنَّ الْيمنيين الْجنوبيين اكتشفوا آثاراً ونقُوشاً في منطقةِ «الْمكللآ» مكتوبةً بالْحروفِ نفسها، التي يكتبُ بها الطوارقُ التيفيناغ. ومعنى كلمةُ «التيفيناغ» بـالطَّارقيةِ: الْحروفُ المنسوبةُ إلى الْفينيقيينَ.

فيما يؤكدُ عددٌ مِنَ العلماءِ أنَّ أصلَ الحْرفِ الْعربيِّ فينيقيٌّ. إلَّا أنهُما تطورَا كلٌّ في اتجاهِ الْخاص حيثُ انتهتِ الْكتابةُ الْفينيقيةُ عندَ الْيمنيينَ في الْمشرقِ، وعندَ النوميديينَ في الْمغربِ. وفي النهايةِ يلتقي الاتجاهانِ عند الطوارقِ – سكانُ الصحراءِ الليبيةِ – لتخرجَ منها حروفُ «تيفيناغ». التي تعتبرُ خلاصةَ تجربةِ الليبيينَ في مجالِ الْكتابةِ والتدوينِ، رغم تأثرهِم بجيرانهِم الإثيوبيين. إلاَّ أنهم كانوا مجتهدينَ غيرَ مقلّدينَ، لاعتمادهِم على النُّقطِ أكثرَ من الْخطوطِ في حرُوفِهم الْجديدة. يقولُ بوفيل: (والْحروفُ التي يكتبُونَ بها هي (tifinagh) الْمقتبسةُ جزئياً من الألِفْبَاءِ الليبيةِ الْقديمةِ).

فيما يرى الْبعضُ الأخرُ أن الْكتابةَ الطَّارقيةَ ليستْ مَنقُولةً عن غيرِها من الأممِ، حيثُ استخدمهَا قدماءُ الطوارقُ في الْكتابةِ على جُدران الْكهوفِ وعلى الصخورِ، من الأعلى إلى الأسفلِ في أولِ عهدِهم بالْكتابةِ، ثم كتبوا في جميعِ الاتجاهاتِ، ودامَ ذلك الْوضعُ إلى أواخرِ الْقرنِ التاسع عشرَ الْميلاديِّ، حيث أخذَ الطوارقُ يَسْتَقِرُون على الْكتابةِ من الْيمينِ إلى الْيسارِ، تقليداً لما هو معمولٌ به في الْعربيةِ. والنقوشُ التي تركها الْقدماءُ موجودةٌ في كلٍّ من ليبيا وتونس والْجزائر ومالي والنيجر. وكانت أكثرَ انتشاراً في الْبَوادِي والأريافِ. وأكثرُ من يتقنُ هذه الحروف عندَ الطوارقِ النساءُ والشبابُ، وأكثرُ ما تُستخْدَمُ في الرسائلِ الْعاطفيةِ، لأنَّ الطوارقَ استبدلُوها بالْحرفِ الْعربيِّ الذي يَرَوْنُه أخاً لهذهِ الحروفِ وأكثرَ تطوراً واستجابةً لدواعي الْكتابةِ والتعبيرِ.

إلى أنْ بدأَ الاستعمارُ الْفرنسيُّ يَدفعُ بالطوارقِ إلى الْعنايةِ بهذهِ الْحروفِ في مُحاولةٍ منهُ خَلْقَ هَوِّيةٍ لَهُم غيرَ هَوِّيَتهِم الْعربيةِ الإسلاميةِ.

**ـ الطبقاتُ الاجتماعيةُ عندَ الطَّوارقِ:**

تعتبرُ طبقةُ النبلاءُ الْمعروفةُ عندَ الطوارقِ باسم «إيموشاغْ»، أو «إيموهاغْ»، أو «إيمَاجَغنْ» أُولَى الطَّبقاتِ الاجتماعيةِ عندَ الطوارقِ، ويُعرفونَ أيضاً باسم «إيلـَّانْ»، ومفردها «إيلـَـلْ» (أيْ النقي أو الصَّافي أو النبيل)، وذلك لعدمِ اختلاطِهم بالأجناسِ الأخرى. ومِنْ هؤلاءِ النبلاءُ طبقةً اجتماعيةً تعْرف باسم «إينسْلمَنْ ـ أيْ الْمُسَالمِوُنَ» أو الْمَرَابطونَ، وأغلبُ هؤلاءِ من عربِ الْفتحِ الإسلاميِّ. وتُقسَّمُ طَبقةُ النُّبَلاءِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسية، وهي:

1ـ تجمعاتُ قبائلِ هقارةَ، ويُعرفُون عند الطوارقِ اسم «إيهَقـَّارَنْ» نسبةً إلى سلسلةِ جبالِ «آهقَّار» بجَنُوبِ الْجزائرِ، وينتشرون بينه وبين سلسلةِ جبالِ «تاسيلي» الْفاصلة بين الْجزائر وليبيا.

2ـ تجمعاتُ قبائلِ «الأزْجَـرْ» نسبةً لوادٍ يمتدُ من غدامسَ إلى غات «أزجر» بمنقطةِ «تَارَجَة» وهي الاسمُ القديمُ عند الطَّوارقِ لحوضي «غدامس ومرزق» في جنوبِ غربِ ليبيا.

3ـ تجمعاتُ قبائلِ «كَـلْ أضْغَـاغْ»، أيْ «أهل الْجبال» نسبة إلى الْجبالِ المعروفةِ عند الطوارق باسم «أضغاغْ وَانْ فوغاس»، أو «أدرارْ إفوراسْ» وهي سلسلةٌ جبليةٌ تقعُ في الْمثلثِ الْحدوديِّ بين مالي والنيجر والْجزائر.

ـ أما الطبقةُ الاجتماعيةُ الثانيةُ عندَهُم فتـُعرف باسم (إمْغادْ). أو (إرَجَناتنْ)، أو الطوارقُ السُّود: وسمُّـوا بالطَّوارقِ السُّود لكثْرةِ امتزاجِهم بالزنُوجِ.

ـ أما الطبقةُ الاجتماعيةُ الثالثةُ عندهم فتعُرف باسم (إينْهَضَنْ ـ أيْ الْصنائعيَّة) أو الْحدادة، أو الصَّاغة، أو الْحِرَفييِّن. وهم من أصولٍ مجهولةٍ تماماً وقد اختلفتِ الآراءُ عندَهُم حولَ أُصولِهِم فهناك من قالَ بأنهُم من أسرى الْوثنيينَ الزنُّوج أثناءَ دخولِ الصَّناهِجَة إلى جنوبِ الصحراءِ الْكبرى قبلَ الْفتحِ الْعربيِّ الإسلاميِّ. وهناك من قال بأنهم من أصولٍ غجريةٍ، و هناك من قال بأنهم من أصولٍ حبشيةٍ، وهناك من قال بأنهم من أُصولٍ فرعونية، وهناك من قال بأنهم من أصولٍ نوبية، وهناك من قال بأنهم من أُصولٍ يهودية. الخ. والله أعلم.

ـ أما الطبقةُ الاجتماعيةُ الرابعةُ فتعُرف باسم (إيكْلانْ)، أيْ الْعبيد أو الرقيق. ومن هؤلاءِ طبقةٌ تعُرف باسم (إيدرَفنْ – أو إيزقاغنْ)، أي «الْعتقاءُ من الرقِ». وهُم من أصولٍ زنجيةٍ، داخلَ الطبقاتِ الاجتماعيةِ السَّابقةِ الذكرِ.

وكلُّ قسمٍ من الأقسامِ السابقةِ يقطنُ في أماكنَ خاصةٍ أو أراضٍ معروفةٍ ومحددةٍ. وعلى رأسِ كلِّ فرعٍ من فرُوعِ الأقسامِ السابقةِ شيخٌ أو زعيمٌ، أو سلطانٌ، أو أميرٌ يُعرفُ عندَ بعضِ منهم باسم «أمَـنُـوكَـال». أيْ «الزعيم». وعندَ الْبعضِ منهم يُعرف باسم «أمْـغَـارْ» أيْ «كبيرُ الْقومِ» وبمعنى آخر «الشَّيخُ الطَّاعن في السنِّ». وتختلفُ هذه الْمسمياتُ من منطقةٍ إلى أخرى. ولا تتعدَّى السلطةُ الْفعليةُ لكلٍ منهم منطقةَ نفوذِ قبيلتهِ في الغالبِ. وتُوَرَّثُ الزعامةُ عندَ بعضهِمْ نسبةً إلى الأمِ، نظراً لمكانةِ المرأةِ في المجتمعِ الطارقيِّ، والصَّنهاجيِّ عموماً.

ـ **الانتشارُ الْجغرافيُّ لتجمعاتِ قبائل الطَّوارق:**

تنتشرُ مضاربُ الطوارقَ في الصحراءِ الْكبرى ما بين حدودِ مالي الشماليةِ والغربيةِ مع موريتانيا مروراً بشمالِ مالي، وشمال النيجر، ونيجيريا، وبوركينافاسو، وشمال تشاد،

وجنوبِ غرب ليبيا، وجنوب شرق الْجزائر. وتنقسُم منطقتَهم إلى أربعةِ أقاليمَ موزعةً بينَ الدولِ المذكورةِ هي: (أظواد، وآهجار، وأزجر، وأيير) في سبعِ سَلْطَنَاتٍ تقليديةً، وكلُّ سلطنةٍ تنقسمُ إلى مجموعةِ إماراتٍ. ولا يزالون يَسكُنون الْبقاعَ نفسها التي كانت تقطُنها «صنهاجة» الْممتدةُ من الطريقِ الشرقيِّ لصحاري الْمغرب عندَ فزان حتى منطقةِ الْمحيطِ الأطلسيِّ في غرب أفريقيا، وهي بيئةُ عُزلةٍ مكنت هذه الْقبائل مِنْ أن تعيشَ مستقلةً بعيدةً عن أيِّ مؤثراتٍ، قد تُغيِّرُ من الْحياةِ التي ألِفَها أجدادُهم في الْعصورِ الْوسطى.

يقول عبد الرحمن تَشَايَجي: في كتاب «الصراع التركي والْفرنسي في الصحراء الْكبرى»، يقسمهم الْجغرافيون إلي قسمين: الطوارق الشماليون والطوارق الْجنوبيون. أما الطوارقُ الشماليون: هم أزقر: الذين يسكنون جنوب غدامس في منطقةِ تاسيلي ما بين غات ومرزق. والهُوقار الذين يسكنون قربَ تديكلت (الإسم القديم لإقليم توات) ويُسيطرون على طريقِ غات عين صالح كما يُسيطرون على طريقِ الصحراءِ الْغربيةِ والْمغرب. أما الطوارقُ الْجنوبيون فهم في منطقة آيير، وطوارق «إيولمدن» في شرق منطقة تمبوكتو.

ويقول فيج: ويمتدُ توزيعُهم الْجغرافيُّ من منطقةِ توات وتنبكت ومن فزان إلى زندر الْواقعةِ غربيِّ بحيرة تشاد. ويَتسِمُون بالشَّجاعةِ وأهمُ أعمالِهم نقلُ وحراسةُ قوافلِ التجارةِ إلى السُّودانِ الغربيِّ والأوسط. ويعملُ بعضُهم بزراعةِ القمحِ والشعيرِ والذرةِ والتمورِ. ولهم قدرةٌ فائقةٌ على تحملِ الجوعِ والعطشِ.

ـ **بعضُ الشَّخصياتُ التَّاريخيَّةِ عندَ الطَّوارقِ**:

ـ الْعلَّامة أبو الْعباس أحمد بابا التنبكتي الْجدالي الصنهاجي:

ولد وترعرع بتينبكتو عاصمة الثقافة الْعربية الإسلامية بالصَّحراءِ الْكبرى. وتلقى تعليمهُ بمحاضرها. عارضَ حملة سلطان مراكش «منصور الذهبي السعدي» على «تينبكتو» بقيادة جودر باشا. فأُرسِلَ إلى مَرَّاكَشْ مُصفداً بالأغلالِ. أُودِعَ السِّجْنُ مع باقي أفرادِ أُسرتهِ إلى جانبِ عددٍ من العلماءِ وبعد عامين أُخْرِجَ من السجنِ واسْتُبْدِلَ سِجْنُهُ بالإقامةِ الْجبريةِ. يقولُ بأنَّهُ فقدَ في مِحْنَتِهِ تلك 1600 مجلداً. وفي عام 1004هـ ـ 1606م أُرجِعَ إلى تينبكتو بعدَ أن أُطْلِقَ سَرَاحُه. وبعد عشرينَ سنةٍ من رجُوعهِ تُوفي في السادسِ من شعبان عام 1036 هـ ـ 1626م عن عُمرٍ يُناهزُ السَّتِينَ عاماً. وقد ترك مجموعةً كبيرةً من الْمؤلفاتِ لا زال أغلَبُها مخطوطاً أهمها:

1 - الْمقصدُ في الشرحِ على مختصرِ خليل.

2 - حاشيةٌ من الجْليلِ على مَهمَّاتِ تحريرِ الشَّيخ خليل.
3 - نيلُ الإبتهاجِ بتطريزِ الديباجِ.
4 - كفايةُ المْحتاجِ لمعرفةِ مَنْ ليَسَ في الدِّيباجِ.
5 - النكتُ الْوفيةُ بشرحِ الألفيةِ.
6 - التحديثُ والتأنيسُ في الاجتماعِ بابنِ إدريسَ.
7 - اختصارُ شرحِ المْقدمةِ الصُّغرى.
8 - تنبيهُ الواقفُ على تحريرِ نيةِ الحالفِ.
9 - جَلبُ النعمةِ ودفعُ النِّقمةِ بمُجانبةِ الظَّلَمَةِ أُولِي الظُّلْمَةِ.
10 – ترتيبُ جامعِ المْعيارِ للونشريسي.
11 – نيلُ الأملِ في تفضيلِ النيةِ على الْعملِ.
12 – الَّلآليُّ السندسيةُ.
13 – غايةُ الأملِ في تفضيلِ النيةِ على الْعملِ.
14 – غايةُ الإجادةِ في مُسَاوَاةِ الفاعلِ للمبتدأَ في شرطِ الإفادةِ.
15 – تعليقٌ على مَوَاضِع مِنْ خَليلٍ مَوَاضِعَ مِن ابنِ الْحَاجبِ.
16 – مسائلُ مُتَضمِنَةٌ فنوناً في صُورةِ أسئلةٍ.
17 – فتحُ الْمُحِيي في مَسألةِ حَي.
18 – المسْكُ الأتَمْ إلى معرفةِ هَلُمْ.
19 – مِنْورُ الْحَالكِ في شرحِ بَيتَيْ ابنُ مَالكِ.
20 – المطْلَبُ والْمَأرَبُ في أعْظَمِ أسماءِ الرَّبِ.
21 – جُزءٌ في تكفيرِ الْكبائرِ بالأعمالِ الصَّالحةِ.
22 – نَشْرُ الْعِبَرِ.
23 – خَمَائِلُ الزهْرِ.
24 – الدّرُ النَّضِرُ.
25 – رَسائلُ نَثريةٌ.
26 – فوائدُ النكاحِ على مختصرِ كتابِ الْوشَاحِ للسيوطي.
27 – مِعْرَاجُ الصُّعُودِ.

28 – اسْتِطْرَادُ الظُّرفاءِ.

29 – تُحفَةُ الفُضَلاءِ ببعضِ فَضائلِ الْعلماءِ.

30 – مِرآةُ التعريفِ بفضلِ الْعلمِ الشَّريفِ .

ـ الُّسلطان الشَّيخ أحمد آمود:

أحد سلاطين سلطنة «الأزقر» ومن أتباعِ الْحركةِ السنوسيةِ. وكان يقيمُ بواحةِ «جانت» بأقصى جنوبِ شرقِ الْجزائر. وفي عام 1908م هاجمَ الْفرنسيون واحةَ «جانت» واستولوا عليها هاجر إلى غات حيث بدأ ينظمُ صفوفَ الْمجاهدين لحرب الْفرنسيين. وفي عام 1916م هاجمَ مع رفاقهِ «جانت» فاستولوا عليها وأسروا 440 سنغالياً مجنداً في الْقواتِ الْفرنسيةِ، إلى جانبِ عددٍ من الضباطِ الْفرنسسين. وقامَ بقتلِ الْمبشرِ الْفرنسي (دي فوكو). واتخذَ واحةَ «جانت» مركزاً لتمويلِ الْمجاهدين ضدَ الاحتلالِ الفرنسي في النيجر، ومالي، وتشاد. وفي عام 1918م انسحبَ إلى «غات» وشاركَ في معاركِ الْجهادِ ضِدَ الاحتلالِ الإيطالي، في كلٍّ من غدامس، وسيناون، ووادي الثلث بغرب نالوت. وفي عام 1923م انسحب جنوباً واستقرَ بمنطقةِ وادي الأجال. وقبلَ وُصولِ الْقواتِ الإيطاليةِ للمنطقةِ توفي عام 1928م ودفن «بالغريفة» بالْقربِ من أوباري.

ـ الشَّيخ محمَّد أخنوخن (نوح):

تولىَّ سلطنة «الأزقر» في الْقرن التَّاسع عشر، عقد معهُ الْفرنسيون اتفاقياتٍ مكَّنَتْهُم من الْوصولِ إلى غدامس وغات. وهو رئيس رؤساء طوارق الأزقر ومن أكثرِ شيُوخِ الطوارقِ ولاءً للدولةِ الْعثمانيةِ. وكان له دورٌ بارزٌ مع الشَّيخ محمَّد الصافي بن محمَّد الأمين الأنصاري في تأسيس قائمتي مقام «غات» و«الأزقر». ثم عُيِّن بعد ذلك قائمقام لقضاءِ طوارقِ "الأزقر" وخَصصَّت له الدولةُ الْعثمانيةُ مرتباً شهرياً. ومُنِحَ نِيشان مَجيدي من الدرجةِ الرابعةِ. ويحظى بتقديرٍ كبير بين سكانِ الصحراءِ الكبرى.

ـ السلطان كاردنا: يعتبرُ من أبرزِ زعماءِ وسلاطينِ «إيولمدن» الشَّرقيين.

ـ السُّلطان شبُّون أق (ابن) تقيُّون:

شيخ قبيلة «إيـولـمـدن»، تصدى للزحفِ الْفرنسي وعرقلَ تقَدُمَهُم لعدةِ سنواتٍ. ولم تستطعْ الْقواتُ الْفرنسيةُ ومجنَّدُوها من السَّنغاليين التَّقدمَ إلا بعدَ أن جَهَّزتْ جيشاً قوياً الأمر الذي أضعَفَه وزَعْزَعَ قُوتَهُ. توفي في بدايةِ الْقرنِ الْعشرين.

ـ الشَّيخ آلـَّه الْبشيرالإفوغاسي.

قاومَ الْفرنسيينَ بمنطقةِ «كيدال» في الجبالِ لمنسوبةِ لإفوغاس واتخذَها مركزاً لهجماتهِ عليهم. أقسم أن لا يستسلمَ لهم وأن لا يضعَ يدَه في أيْديهِم، رَغمَ اعتِقالِهم لأُسرِته. وبعد حصارٍ دامَ سنواتٍ، أرْدَوهُ شهيداً، وقامُوا بقطعِ رَأْسِه وأرسَلُوه إلى الْحاكمِ الْفرنسيِّ بمدينةِ «قاوة» في شمال مالي .

ـ السُّلطان موسى دمقرقوما:

سلطان قبيلة «أمزوراك» بمنطقةِ «دَمَرْقُوا» بشمالِ النيجرِ. هاجمَ الفرنسيين أثناءَ وصُولهمْ إلى «زندر» في 2 نوفمبر عام 1899م. وقامَ بقطعِ الإمداداتِ عنهم، ونَهبِ القبائلِ الْمواليةِ لفرنسا. وفي عام 1900م قامتِ القواتُ الْفرنسيةُ بهجومٍ عليهِ في قريةِ «تان أماري» أسفرَ عن مقتلهِ مع عددٍ مِنْ مجاهدِي الطوارقِ.

ـ السلطان محمَّد كاوسن:

ولد عام 1880م بقريةِ «دَمَـرْقُـوا»، وَهْو من قبيلةِ «إيكزكزان» إحدى أفخاذِ «إيـولـمـدن»، ومن أتباعِ الْحركةِ السنوسيَّةِ. شَاركَ في معاركِ الْجهادِ ضدَ الاحتلالِ الْفرنسيِّ في تشاد والنيجر، وضِدَ الاحتلالِ الإيطالي في ليبيا. تُوفي في الخامسِ من شهرِ يناير عام 1919م بواحة «أم الْعظام» شرقي مدينة مرزق.

ـ السلطان موسى أق أماستان: يعتبرُ من أشهرِ سلاطينِ «إهقارن»، قاومَ الْفرنسيينَ في بدايةِ أمره، ثم أقامَ علاقةٍ طيبةٍ معهُم.

ـ السلطان إنقونا (محمد علي) الأنصاري:

ولـد فـي عـام 1830م. قال عنه بول مارتي : (وقد تلقى دراساتٍ إسلاميةً جيدةً، وبدأَ منذُ مَراحلِ صِبَاهُ يَشُنُ حروباً على العلّوشيين والمشظوفيين والبُـورَدّا والكونتهْ، والبرابيش. عُيّنَ شيخاً للقبيلةِ عام 1865م. وبقى القائدَ الوحيدَ «لكلْ إنصـار» (الأنصار) حتى وفاتهِ في السّـادس من شهر نوفمبر عـام 1898م بعد رفضهِ الاستسلامَ للفرنسيّين.) .

ـ السُّلطان فهرون أق (ابن) الأنصار:

أحدُ سلاطينِ «إيولمدن» شمالِ شرقِ مالي وشمالِ فولتا الْعليا (بوركينافاسو)، حاولتْ فرنسا استدرَاجَهُ وكَسْبِهِ إلى جَانِبهَا فأصْدَرتْ مَرسُوماً يقضي بتعيينهِ مَلكاً على الطوارقِ. فرفضَ فألقتْ القبضَ عليهِ وأودَعَتهُ السجنَ في «دكار» بالسنغال، ثمَّ نُقِلَ إلى إقامةٍ جبريةٍ

في واحةِ «مينكا» بشمالِ مالي. تمكنَ من الفرارِ وأعلنَ الْجهادَ ضِدَّهمُ فقامَ بهجُومٍ على مَواقِعِهمْ في واحتي «مينكا» و«فلنقي» واستولىَ على ما فيها من الأسلحةِ والذخائرِ. فقامتِ الْقواتُ الْفرنسيةُ وعُمَلاؤُها بهُجومٍ واسعٍ عليهِ في بلدةِ «آضار أن بوكار» فقامتِ القواتُ الفرنسيةُ بمذبحةٍ كبيرةٍ ضِدَ أهالي البلدة، سقطَ فيها عددٌ من رفاقهِ، فانسحبَ بقلةٍ من أتباعهِ وأثناءَ انسحابهِ سقطَ شهيداً عام 1916م.

- السلطان ماديدو: أحدُ سلاطينِ سلطنةِ «إيوللمدن» الشرقيين عاصرَ دخولَ فرنسا للمنطقةِ.
- الشَّيخ الْكوني محمَّد وأنكروف: من مواليدِ عام 1894م، وهْو أحدُ الأعيانِ النبلاء الشجعانِ بقبيلةِ «كيل ميهرو» داخلَ تجمعاتِ قبائلِ «إيوراغن» بمنطقةِ الأزقر.
- السَّلطان أيشِلكين: سلطانُ سلطنةِ «كيل أقرس»، عُرف بالْعدلِ بين الرعيةِ.
- السَّلطان إبرقن: من سلاطينِ «إجدالنْ».
- السَّلطان عبد الرحمن تاقما: من أبرزِ سلاطينِ «آيير»، قاومَ الْفرنسيين ساعةَ وصُولهِم لبلادهِ. وقامُوا بإغتِيَالهِ في عام 1920م.
- الأمير محمَّد علي بن الطَّاهر الأنصاري:

ولـد عـام 1898م. فقـد كـان أجدادُه يـأخذون البيعـةَ لملـوكِ المغـربِ من تجمعاتِ قبائلِ الصحراءِ التنمبكتية منـذُ خضُوعِـهَا لسلطانِ المغـربِ "أحمـد المنصـور الذهبي" فـي أواخرِ القـرن السَّـادسِ عشـرْ الميـلادي، إلى أن استولى الفـرنسـيونَ عـلـيها عـام 1920م. عاشَ حيـاتَه قتـالاً ومقـاومـةضـد المستعمـرِ، فواصلَ الثورةَ ضِدَ الفرنسييّنَ ومنعَ شعبَهُ من المشاركةِ فـي الحربِ العـالـميةِ الثّـانية، مما جعلَهُم يُصنفُون أعـداءً لفـرنـسا، واتخذتْ فـرنسـا ذلك ذريعـةً لإبعـادهِ إلى الخـارجِ خاصةً بعـدَ رفضـهِ المخططَ الفرنسيَّ لفصـلِ جَنُوبِ الصحراءِ الكبرى عن مُحيطِها المغاربي لضربِ الثورةِ الجزائـريةِ.

وفـي عـام 1948م، توجّـه إلى السّعوديّـةِ حيث كانت تربطُـه علاقـةٍ جيـدةٍ بالملك عبد العزيز بن عبد الرّحمـن آل سعـود وأبنائـهِ. طلبَ منه الملك سعـود بن عبد العـزيـز، إحضارَ عَشِيرَتِهِ إلى الحجازِ لإقـطـاعـهِ نـاحيّـةً من نَواحِـيهَا ويـكونُ فـيـهـا أميـراً عَليهِمْ. إلاّ أنّهُ رفضَ بحجـةِ أنّ إخراج الأنـصـارِ وفصـلِـهـمْ عن أخوالـهِـم الطّوارقِ في المنطقةِ ما هو إلاَّ إضعافٌ للإسـلامِ فـي الصحراءِ الكبرى، وخدمةً للمستعمرِ. و وفي عام

1954م توجّه إلى مصرَ وعقدَ علاقةً طيّبةً مع "القادةِ المصريين". ومنها توجه إلى ليبيا فنزلَ ضيفاً عندَ الْملك "إدريس السنوسي"، وبعد عودة الملك "محمد الخامس" من منفاه عام 1956م، غادرَ إلى المغرب. واقتصرَ دورُه على تقديمِ المساعداتِ الماديّةِ والمعنويّةِ لشعبهِ وظلَّ في نظَرِهِمْ ظاهرةً لا يمكن تكرارُها في تاريخِ المنطقةِ لما اتّسمتْ بهِ حياتُه من جهادٍ ونضالٍ في سبيلِ قضيّتِهِمْ إلى أن توفي بمدينةِ "الرباط" في التاسع من شهر يوليو 1994م عن عمرٍ يناهز ستٍ وتسعين عاماً.

ـ الشَّيخ الطَّاهر أق إييللي الإفوغاسي: من الْعلماءِ والْفقهاءِ والْمفكرين، والزعماءِ البارزينَ الذين قاوموا الاحتلالَ الْفرنسيَّ بالصحراءِ الكبرى.

وغيرُ هؤلاءِ كثير. لا يسعُ المقامُ لذكرِهِم جميعاً.

{وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ}

{والسَّلام عليْكم ورَحمَة الله وبركاته}

**ـ الْمصادر والْمراجع:**


1 – علي ابن أبي زرع الْفاسي، كتاب الأنيس الْمطرب بروض الْقرطاس في أخبار ملوك الْمغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الْوهاب بن منصور، الْمطبعة الْملكية، الرباط – الْمغرب الطبعة الثانية 1420 هـ – 1999م .

2 – الْحسن بن محمد الْوزن الْفاسي الْمعروف بليون الإفريقي، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الْغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1983م .

3 – الدكتور أحمد مختار الْعبادي، في تاريخ الْمغرب والأندلس، دار النهضة الْعربية للطباعة والنشر بيروت – لبنان .

4 – الدكتور السيد عبد الْعزيز سالم، تاريخ الْمسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة الْعربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان .

5 – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1979م .

6 – الدكتور النانى ولد الْحسن، صحراء الْملثمين، تقديم الأستاذ الدكتور محمد حجي، دار الْمدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2007م .

8 – بوفيل، تجارة الذهب وسكان الْمغرب الْكبير، ترجمة الدكتور الْهادي أبو لقمة، والدكتور محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، ببنغازي – ليبيا 1988م .

9 – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب الْعرب، دار الْكتب الْعلمية من منشورات محمد علي بيضون، بيروت – لبنان، 1418هـ – 1998م.

10 – الْفردبيل، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الْفتح الْعربي حتى الْيوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الْغرب الإسلامي، بيروت – لبنان،1987م .
11 – محمد عبد الرزاق منّاع، الأنساب الْعربية في ليبيا، منشورات مكتبة التمور، بنغازي – ليبيا، 2007م.
12 – ابن عِذارَى الْمراكشي، الْبيان الْمُغرب في أخبار الأندلس والْمغرب، الدار الْعربية للكتاب، الطبعة الثانية 1983م.
13 – الْمختار ولد حامد، التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا)، منشورات دار الْغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 2000م .
14 – أبو الْعباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الْقلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب الْعرب، دار الْكتب الْعلمية بيروت – لبنان .
15 – ج . كامب، الْبربر الذاكرة والْهوية، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، تقديم الأستاذ الدكتور محمد الطاهر الْجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، الطبعة الأولى 2005م.
16 – جستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة وتقديم الدكتور عبد الْقادر مصطفى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، الطبعة الأولى 2007م.
17 – الدكتور محمد سعيد الْقشاط، أعلام الصحراء، دار الْملتقى للطباعة والنشر، بيروت – ليماسول، الطبعة الأولى، 1998م .
18 – عبد الْوهاب بنمنصور، قبائل الْمغرب، الْمطبعة الْملكية، الرباط، 1968م .
19 – الناصري أبو الْعباس أحمد بن خالد، كتاب الاستقصاء لأخبار دول الْمغرب الأقصى، تحقيق وتعليق الدكتور جعفر ومحمد ناصر، دار الْكتاب بالدار الْبيضاء، 1956م.
20 – عبد الْواحد الْمراكشي، الْمعجب في تلخيص أخبار الْمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد زينهم محمد عرب، دار الْفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م .
21 – أبوبكر بن علي الصنهاجي الْمعروف بالْبيذق، كتاب الْمنتخب في الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الْوهاب بنمنصور، دار لْمنصور للطباعة وتوزيع، الرباط – الْمغرب، 1971م.
22 – الْهادي الْمبروك الدالي: قبائل الطوارق دراسة وثائقية، إصدارات الْقيادة الشعبية الاجتماعية بالْجماهيرية، 2006م طرابلس – ليبيا.
23 – إصلاح محمد الْبخاري: انتشار الإسلام والثقافة الْعربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء، مطابع الْوحدة الْعربية بالزاوية – ليبيا 2004م.
24 – عبد اللطيف الْبرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي من الْفتح الإسلامي حتى بداية العصر الْعثماني، منشورات الْجامعة الليبية 1971م، ط : دار الصادر بيروت – لبنان.
25 – محمد محمد الشيخ الأنصاري: بعض علماء وأعيان الأنصار بصحراء تمبكتو من الْقرن الْخامس إلى الْقرن الْواحد والْعشرين الْميلادين، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 2009م

(تحت الطبع).
26 – إسماعيل كمالي: تاريخ مسائل الْحدود للواء فزان 11 – 4 – 1911م، ترجمة عن التركية: دكتور عبد الْكريم أبو شويرب، الناشر مجلة الْوثائق والْمخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 2007م.
27 – عمر الأنصاري: الرجال الزرق: الطوارق الأسطورة والْواقع، دار الساقي بيروت – لبنان 2006م.
28 – نجمي رجب ضياف: مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1999م .
29 – مولاي أحمد بابير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت الْبهية، تقديم الدكتور عبد الْحميد الهرامة، دراسة وتحقيق الدكتور الْهادي الْمبروك الدالي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس – ليبيا 2001م.
30 – محمد عبد الْملك الأنصاري: الثورة الليبية تحتوي الطوارق، مجموعة وثائق مطبوعة غير منشورة تاريخ الطبع 2000م أوباري – ليبيا.
31 – محمد بن عثمان الْحشائشي التونسي: رحلة الْحشائشي إلى ليبيا {جلاء الْكرب عن طرابلس الْغرب}، تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي، ط: دار الْمصراتي طرابلس – ليبيا، الطبعة الثانية 2003م.
32 – د.أ حبيب وداعة الْحسناوي، غات في بعض النصوص الْعربية دراسة في مصدر تاريخي، بحث مقدم للمؤتمر السادس للجمعية التاريخية الْعربيَّة الليبية بتاريخ:28-12-2003م إلى 1-1-2004م.
33 – عبد الْمهيمن الإسحاقي: تعدد اللغات الطارقية ودلالتها على الأصالة الْعربية، بحث مقدم للندوة العالمية حول سكان شمال أفريقيا عبر الْعصور بتاريخ 13 – 14-4 – 2009م بجامعة الجبل الْغربي بمدينة غريان – ليبيا.
34 – الشيخ أحمـد بن عبد الله الأنـصـاري: ديـوان الْخـزرجيـات، ط: دار الأنصار بمدينة الرياض – السعودية 1994م.
35 – محمد الْعرباوي: الْكتابة البربرية: اللوبية – التيفيناغ ما حقيقتها ؟، مطبوعة غير منشورة تاريخ الطبع 2009م تونس.
36 – محمد سعيد الْقشاط: صحراء الْعرب الْكبرى، ط: دار الْملتقى ودار الرواد بيروت – لبنان 1994م.
37 – محمد سعيد الْقشاط: أعلام من الصحراء، ط: دار الْملتقى 1997م بيروت – لبنان.
38 – محمد سعيد الْقشاط: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الْكبرى 1854 – 1986م، ط الثانية دار الْملتقى 1998م بيروت – لبنان .
39 – محمد سعيد الْقشاط: الطوارق عرب الصحراء الْكبرى، منشورات مركز دراسات وأبحاث الصحراء بطرابلس – ليبيا 1988م .
40 – محمد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع الْبلدان،

دراسة وتحقيق وتقديم الدكتور الهادي المبروك الدالي، طرابلس – ليبيا 2008م .
41 – محمد محمد الشيخ الأنصاري: العرب البربر{الآراء حول الأصول العروبية لسكان بلاد المغرب وجنوب صحرائها} بحث مقدم للندوة العالمية حول سكان شمال أفريقيا عبر العصور بتاريخ 13 – 14-4 – 2009م بجامعة الجبل الغربي بمدينة غريان – ليبيا.
42 – مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 2003م طرابلس – ليبيا.
43 – عبد الرحمن تشايجي: الصراع التركي والفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة الدكتور علي اعزازي، تقديم الدكتور محمد الطاهر الجراري الأنصاري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1993م طرابلس – ليبيا.
44 – إسماعيل كمالي: سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1997م طرابلس – ليبيا.
45 – أسماء موسى زائد: الصلات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي في عصر المرابطين (448 – 541 هـ / 1056 – 1146م)، منشورات جامعة 7 أكتوبر 2008م مصراتة – ليبيا.
46 – أبوعامر مرتضى الأنصاري: نثار الأخبار عن بقايا الأنصار بصحراء تمبكتو، ط: دار الأنصار الرياض – السعودية 1998م.
47 – الشيخ العتيق سعد الدين السوقي: الجوهر الثمين في أخبار الملثمين، مخطوط بمعهد أحمد بابا التينبكتي للوثائق والمخطوطات، بمدينة تينبكتو – مالي .
48 – نقولا زيادة: إفريقيات، منشورات رياض الريس، لندن 1991م .
49 – نوري محمد الأمينالأنصاري: الملثمون أجداد كل تماشق، تينبكتو – مالي 2007م.